

أحداث 18 أبريل 1945 بقصر الشلالة

أ. أحمد بن سالم
جامعة الجلفة

مقدمة:

شهدت منطقة قصر الشلالة⁽¹⁾ منذ وصول الفرنسيين في بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر ردود فعل وطنية تميزت بالإسرار على مواجهة القوات الإستعمارية الفرنسية بشتى الوسائل المتاحة سياسيا وعسكريا إنطلاقا من مقاومة أولاد شعيب سنة 1864 م بعد سقوط الزمالة في 16 ماي 1843 م و وصولا إلى إحتضان المنطقة للقضية الوطنية من خلال إلتفاف مناضليها حول زعيم الحركة الوطنية مصالي الحاج أثناء إقامته بالمنطقة سنتي 1944-1945 م في شكل إقامة جبرية بعد مروره بسجن لومبيز تازولت و الإقامة الجبرية بقصر البخاري ومنها إلى قصر الشلالة⁽²⁾، أين إستطاع أن يجعل من المنطقة محجا للعديد من زعماء الحركة الوطنية في لقاءات سرية تارة وعلانية تارة أخرى إنتهت هذه اللقاءات في الكثير من الأحيان بقرارات سياسية هامة لعل أبرزها ذلك اللقاء الذي جمع بين قادة الحركة الوطنية في سنة 1944 م مصالي الحاج، الشيخ البشير الإبراهيمي، فرحات عباس والذي وضع اللبنة الأولى لتأسيس جبهة أحباب البيان والحرية⁽³⁾ و التي أعلن عنها بصفة رسمية لاحقا. لم يتوقف مصالي الحاج عن النشاط السياسي في قصر الشلالة إلى غاية صدور قرار تحويله إلى المنيعه عقب أحداث 18 أبريل 1945.

- زيارة والي الجزائر (PERILLIER) واجتماع العشاب Transchumance⁽⁴⁾ :

من خلال التقرير الذي وجهه المتصرف الإداري لبلدية الشلالة Reibell⁽⁵⁾ إلى السيد الحاكم العام بالجزائر تحت إشراف رئيس دائرة المدينة ، فإن زيارة والي العاصمة في 18 أبريل 1945 م في إطار الإجتماع المخصص للعشابة والذي أراد من خلاله السيد والي ولاية العاصمة إستغلال الفرصة للحد من نشاطات خلية أحباب البيان والحرية بالمدينة، والتي سبق الإشارة إلى خطورتها من خلال تقرير السيد الحاكم العام للجزائر الذي بعث به إلى السادة وزير الداخلية الفرنسي والجنرال ديغول رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية بتاريخ الفاتح من أبريل في إطار تشخيصه للوضع السياسي في الأوساط الإسلامية في الجزائر، والذي أشار فيه إلى خطورة نشاط أربعة مناضلين سابقين في حزب الشعب يشكلون خلية أحباب البيان والحرية⁽⁶⁾.

لقد كان نشاط هؤلاء محل شكاي عديدة للمتصرف الإداري لبلدية قصر الشلالة بعث بها إلى السيد والي الجزائر مما دفع بالسيد الحاكم العام للمصادقة على إعتقالهم ووضع حد لنشاطهم الأمر الذي حاول السيد PERILLIER تجسيده أثناء زيارته لقصر الشلالة في 18 أبريل 1945 حاملا معه قرارات الإعتقال التي كلف بها القائد الإقليمي للدرك. أقدم المناضلون الأربعة وهم على التوالي محمد مناصر المدعو الصنديد⁽⁷⁾، سعد دحلب⁽⁸⁾ بن بن الطيب وزيتوني علي بن مسعود وبن عبد الوهاب محمد وأعمر على تقدم أنفسهم أمام السيد الوالي والوفد المرافق له كممثلين لأحباب البيان والحرية، الأمر الذي أخرج السلطات المحلية الفرنسية، ولمواجهة هذا الوضع قام نائب المتصرف الإداري COUTELEN بتسخير ثلاثة من رجال الدرك أوكلت لهم مهمة مراقبة المناضلين الأربع ومواجهة أي تصرف يصدر عنهم بإمكانه أن يثير البلبله.

استطاعت السلطات المحلية تسيير مراسيم الزيارة إلى غاية مأدبة الإفطار، غير أن فترة ما بعد الظهر وفي حدود الساعة الثالثة والنصف وبناء على قرار الاعتقال الصادر في حق المناضلين الأربعة بتاريخ 07 أبريل 1945 م، والذي أريد له أن يجسد بهذه المناسبة، صدر أمر بتوقيف هؤلاء وتحويلهم إلى جهة مجهولة الشيء الذي أدى إلى ردود أفعال عنيفة من قبل أنصار حزب الشعب⁽⁹⁾ الذي قدموا بأعداد كبيرة وهاجموا شاحنة الدرك التي كانت تم بمغادرة المكان، وقاموا بتحرير الموقوفين بالقوة مما أدى

إلى تزايد عدد المناضلين والمتعاطفين المشاركين في مواجهة القوات الفرنسية برمي الحجارة خاصة تجاه رجال الدرك، وأمام هذا الوضع غير المنتظر كان إهتمام السلطات الفرنسية منصب حول ضرورة تهدئة الأوضاع قبل أن تأخذ منعرجا يصعب التحكم فيه نظرا للالتفاف الشعبي الكبير حول المعتقلين تعبيرا منهم عن رفض قرار الإعتقال ودعمًا للنشاط الوطني، كان ذلك من خلال توجيههم سبابة اليد إلى الأعلى عند مرور الوالي عبر المتظاهرين.

لقد ورد في تقرير السيد المتصرف الإداري أنه في صبيحة 19 من أبريل 1945 م وبعد تحليل الوضع ودراسته إتضح لدى قائد الدرك الجهوي بالبلدية وللسلطات المحلية بأن تهدئة الوضع في مدينة الشلالة تتطلب إتخاذ التدابير التالية:

- إبعاد مصالي الحاج عن مدينة قصر الشلالة وهو الأمر الذي تجسد فيما بعد بنقل الرجل إلى خارج الجزائر.
- إعتقال مناضلي حزب الشعب اللذين شاركوا بشكل مباشر وفعلي⁽¹⁰⁾.
- إعادة إعتقال المناضلين الأربعة الذين فروا نتيجة المواجهة بين سكان مدينة قصر الشلالة ورجال الدرك.

لم تشهد في اليوم الموالي للمدينة أحداثا هامة ما عدا محاولات السلطات الفرنسية اللجوء إلى وساطة الآغا فرحات المداني والآغا زيتوني علي بن علال⁽¹¹⁾ قصد تهدئة الأوضاع، ولمعالجة الوضع بصفة نهائية ووضع حد لعملية الفرار التي نجمت عن تدخل المواطنين وإفشال محاولة الإعتقال، أقدمت السلطات الفرنسية المحلية بإعداد خطة بمشاركة قيادة الدرك بالبلدية وعرضت على السلطات المركزية التي صادقت عليها وكلفت قائد فرقة الدرك الوطني بتبليغ المتصرف الإداري وبناء على ذلك سيتم تعزيز المنطقة بقوات عسكرية مجهزة بسيارات من نوع جيب JEEP تحمل رشاشات وفيلق من الجنود السينيغاليين، بالإضافة إلى رئيس الشرطة المتنقلة لولاية الجزائر الذي سيحمل تعليمات مكتوبة موجهة للسلطات المحلية.

- قرار تحويل مصالي الحاج إلى المنية:

كان مصالي الحاج خلال سنتي 1944-1945م في حالة إقامة جبرية⁽¹²⁾ بمدينة قصر الشلالة الأمر الذي جعله يكون متواجدا في المدينة خلال الأحداث التي عرفت في 18 من أبريل والتي رأت السلطات الفرنسية انه كان وراء تحريكها، مما دفع بهذه الأخيرة إلى إتخاذ قرار تحويله إلى مدينة المنية في الصحراء الجزائرية، كلف النقيب الفرنسي فريشي FRECHET والسيد محافظ شرطة والاستعلامات العامة بالجزائر CARSE NAC وعدد من المفتشين بتطبيق هذا القرار وبمساعدة من رجال الدرك وأعوان الشرطة، كان من الضروري أن تبلغ السلطات الفرنسية السيد مصالي بقرار تحويله إلى المنية نتيجة الأحداث التي عرفت في مدينة قصر الشلالة والتي كانت لها انعكاسات سياسية وأمنية كان من أبرزها إتخاذ قرار تحويل مصالي الحاج إلى المنية، هذا القرار الصادر عن الحاكم العام والذي أبلغ به في منزله بتاريخ 21 أبريل 1945 م على الساعة الخامسة عن طريق النقيب PERIER التابع لفرقة الدرك بالبلدية بمساعدة M.POGGROL محافظ الشرطة القضائية وبذلك تم نقل السيد مصالي الحاج على متن سيارة إلى عين وسارة أين كانت تنتظره طائرة عسكرية.

إحتج مصالي الحاج⁽¹³⁾ إحتجاجا كبيرا على هذا العمل التعسفي والذي عان منه كثيرا وبذلك غادر مصالي الحاج قصر الشلالة في ظروف إستثنائية.

أستقبل سكان مدينة قصر الشلالة قرار ترحيل زعيم حزب الشعب بشيء من الدهول خاصة مناضلي القضية الوطنية نظرا لمكانته وتأثيره في أوساط سكان المنطقة الذين احتضنوا طيلة فترة تواجده بينهم القضية الوطنية، فكانت مدينة قصر الشلالة وجهة العديد من زعماء الحركة الوطنية كالشيخ البشير الإبراهيمي، فرحات عباس وقيادات أخرى مثل الدكتور لمين دباغين، أحمد بن بلة، أحمد بودو و حسين عسلة⁽¹⁴⁾، وبذلك ستحرم المنطقة من هذا الزخم الوطني بمغادرة مصالي الحاج لربوعها والذي انطلق موكب ترحيله من عين وسارة نحو المنية على الساعة الثامنة و 55 دقيقة ليصل في حدود منتصف النهار أين تم تحويله إلى فندق MERCIER تحت الرقابة

المشددة حيث شاركه طاقم الطائرة الذي رافقه من عين وسارة إلى المنيعية وجبة الغداء ثم تم تحويله إلى سكن برفقة الملازم BONO نائب رئيس مركز المنيعية.

• الإجراءات المتخذة ضد مناضلي حزب الشعب المشاركين في أحداث 18 أبريل 1945 م بقصر الشلالة:

قامت السلطات الفرنسية بعد أن تعززت القوات الأمنية بقوات عسكرية إحتلت المناطق الحساسة في وسط المدينة بحملة من الإعتقالات في صفوف الوطنيين دامت ثلاثة أيام 21، 22 و 23 أبريل 1945 م وكان من أبرز المعتقلين المناضلين الأربعة الفاريين منذ بداية الأحداث والذين سلموا أنفسهم يومي 22 و 23 أبريل ليتم تحويلهم إلى معتقل بوسوي بسيدي بلعباس، كما أقدمت السلطات الفرنسية على إعتقال عدد آخر من المناضلين، وجهت لهم تهم مختلفة من بينهم المناضل شبايكي عبد القادر بن عبد الرحمان والذي أتهم بحيازة سلاح بدون رخصة في فناء السكن الذي يقيم به مصالي الحاج حسب تقرير الشرطة القضائية أثناء تحويل مصالي الحاج من مدينة قصر الشلالة إلى عين وسارة، نفس التهمة وجهت إلى عبد الوهاب محمد بن سعيد بالإضافة إلى شبايكي بن صالح بن عبد الرحمان ليتم تقديم هؤلاء فيما بعد أمام القضاء العسكري رفقة ثمانية متهمين هم: مقواز الطيب بن محمد، مناصر عمر بن محمد، رافع مبخوت بن بلقاسم⁽¹⁵⁾، بوعمر بوعمر بن احمد، عيطوطي بلخير بن ناجي، كما وجهت تهمه الدعاية والنشاط السري المعادي لفرنسا لعدة مناضلين سيوجهون لمعتقل بوسوي وهم على التوالي:

- سويح عيسى بن الطيب
- سفيان عبد القادر بن محمد
- مناري محمد بن عز الدين
- خنفار سالم بن محمد
- حكيم لخضر بن احمد
- جواي حسين بن محمد
- شالي احمد بن مقراني
- لوداد محمد بن معاش
- إيكاب بوساعد بن محمد
- مرياح عبد القادر بن عيسى
- بن عبد الوهاب احمد بن علي
- صافي احمد بن محمد المدعو السوفي.

لم تكتف السلطات الفرنسية بهذه الإعتقالات بل أضافت إلى ذلك قرارات بالإقامة الجبرية في حق حليليس عيسى بن مبارك، اوعيسى شعبان بن بلعيد ومقواز عبد القادر بن محمد بتهمة التعاطف مع نشاط الحركة الوطنية وترويج الدعاية المعادية لفرنسا.

• محاكمة المعتقلين:

حوكم جميع الموقوفين و المعتقلين بالجزائر العاصمة في شهر جويلية 1945 م ، وقد كانت الأحكام قاسية جدا في أغلبها حيث حكم على البعض من هؤلاء مثل رافع مبخوت بعشرين سنة سجن مع الأشغال الشاقة وعشرين سنة حرمان من الإقامة في المدينة، ليتم فيما بعد العفو عن هؤلاء بموجب القانون الصادر بتاريخ 09 مارس 1946 م.

• نهاية أحداث 18 أبريل 1945 م بقصر الشلالة:

تمكنت السلطات الفرنسية من تحويل مصالي الحاج بقرار من وزير الداخلية و بمصادقة وزير المستعمرات في 27 أبريل 1945 م⁽¹⁶⁾ إلى العاصمة الكونغولية برازافيل التي وصلها يوم 03 ماي 1945 م كما استطاعت أن تضع حد لهذه الأحداث بإعتقال جل من شارك فيها ومحاكمتهم لكنها لم تستطع الوقوف أمام إنعكاساتها على العديد من المناطق خاصة عملية ترحيل مصالي الحاج ونفيه إلى أدغال إفريقيا الأمر الذي تسبب في جملة من المظاهرات، كانت في أغلبها تعبيرا عن رفض الإجراءات التعسفية المتخذة في حق زعيم حزب الشعب، وقد ظهرت هذه الأخيرة بشكل جلي في الفاتح من ماي عندما حاول مناضلو حزب الشعب إستغلال عيد العمال المصادف للفاتح من ماي بتنظيم عدد من المظاهرات كان أبرزها ما حدث في مدينة بجاية حسب المراسلات الرسمية الفرنسية التي كانت تصفها بالأحداث الخطيرة بالجزائر حيث سجلت خروج أكثر من ألفين جزائري حاملين شعارات تنادي بإطلاق سراح مصالي محاولين إقتحام الوفود النقابية الأمر الذي ترتب عنه تدخل الشرطة الفرنسية لمنع هؤلاء وإيقافهم مما نتج عنه إصابة أحد عناصر الشرطة الفرنسية بجروح خطيرة حسب تقارير السلطات الفرنسية.

كما عرفت مدينة وهران مظاهرات مشابهة بخروج مناضلي الحركة الوطنية بأعداد غفيرة حاملين نفس الشعارات المنادية والمطالبة بإطلاق سراح مصالي، غير أن هذه الأخيرة رفعت شعارات أخرى تهتف بحياة أدولف هتلر وألمانيا كما تخللتها هتافات معادية لليهود وفرنسا، كل ذلك حسب تقارير الشرطة الفرنسية التي تدخلت بإطلاق عيارات نارية مما أدى إلى سقوط أحد المتظاهرين، ادعت التقارير الفرنسية أنه كان ضحية لطلقات نارية صديقة، الأمر الذي يظهر محاولات السلطات الفرنسية التقليل من شأن همجية القوات الفرنسية ومحاوله تغطية حقيقة النتائج الناجمة عن تدخل الشرطة الفرنسية بعنف كما أفادت هذه التقارير بسقوط شرطي فرنسي جريح مما أدى إلى حملة اعتقالات واسعة في صفوف المتظاهرين العزل.

إما بخصوص المظاهرات التي شهدتها مدينة الجزائر فقد تميزت بخروج حشد من المناضلين للتظاهر حاملين شعارات كتبت باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية على غير العادة منادية هي الأخرى بإطلاق سراح مصالي الحاج، تعرضت هذه المظاهرات لحواجز أمنية منعته من مواصلة التظاهر مستعملة الأسلحة النارية ردا على تحركات المتظاهرين حسب التقارير الأمنية الفرنسية دائما مما أدى نتائج تمثلت في:

• سقوط 21 جريح توفي احدهم لاحقا

• تعرض 3 من رجال الفرنسية بجروح بليغة

• توقيف واعتقال 32 متظاهر

إن تقارير الفرنسية المتحيزة للإدارة الفرنسية كانت في كل مناسبة تحاول تحميل المتظاهرين مسؤولية ما حدث من ردود أفعال فرنسية اعتبرت ما قامت به قوات الأمن دفاعا عن النفس.

خاتمة:

استطاعت أحداث 18 افريل 1945 أن تكون مقدمة للعديد من المظاهرات السلمية التي كانت قد شهدتها مدن الجزائرية مختلفة استمرت إلى غاية 08 ماي 1945 م⁽¹⁷⁾، احتجاجا على تحويل مصالي الحاج من إقامته الجبرية بقصر الشلالة إلى مدينة المنيع ومنها إلى برزا فيل بالكونغو، كما يمكن اعتبارها إنذار شديد اللهجة ونقطة انعطاف نحو تغير الأساليب المنتهجة والتي لم تعد تجدي نفعاً أمام تعنت السلطات الاستعمارية وتحاولها لمطالب الشعب الجزائري العادلة التي مافتئ يعبر عنها سلميا.

الهوامش :

(1) مقر للبلدية المختلطة التي تأسست 1905 م، وهي اليوم إحدى دوائر ولاية تيارت تقع في القسم الجنوبي من الولاية .محمد شايب الذراع ، قصر الشلالة ودورها في النضال السياسي 15 سبتمبر 1995م الصفحة 2.

- (2) عناد ثابت رضوان ، 08 ماي 1945 م ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط3 ، 1986 م ص:224.
- (3) محمد العربي الزيري ، (محاضرة في معهد التاريخ) ، الجزائر ، 15 جانفي 1995 م .
- (4) هي عملية تنظيمية بين مربّي المواشي في الصحراء وبين الفلاحين المزارعين من المعمرين وذلك لتنقل المواشي نحو التل في رحلة الصيف من أجل الكلاء والرعي ، وتبقى هذه المواشي مدة معينة بالتل ثم تعود إلى الصحراء في رحلة الشتاء ، مقابلة شفوية بن عودة بن ساعد ، 20 فيفري 2017 م ، 17:00.
- (5) إسم لضابط فرنسي من مواليد 14 ماي 1849 م بدروسينهاين كان رئيس للمحلق بمكتب العربي بقصر الشلالة ، قادة القومية بطاقيّن أثناء مقاومة أولاد سيدي الشيخ ، توفي سنة 1901 م ، مستشفى مصطفى باشا بعاصمة .
- (6) هي جبهة تأسست في نهاية الحرب العالمية الثانية جمعت التيارات السياسية الجزائرية بقيادة فرحات عباس .
- (7) أحد المقرّبين من مصالي الحاج تعرض للاعتقال بتهمة حيازة الأسلحة والذخيرة حكم عليه بسجن ليطلق سراحه 21 جانفي 1961 م ، اغتيل 1962 م .
- (8) من مواليد 1919 م بقصر الشلالة أحد صانعي أحداث 18 أفريل 1945 م ، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثق عن مؤتمر الصومام ، دبلوماسي نشيط شارك بشكل فاعل في مفاوضات إيفيان .
- (9) ANOM , FM81F/866 , INCUDENTS DU 18 AVRIL 1945 à REIBELL.
- (10) MAHFOUD KHDDACHE-HISTOIRE DU NATIONALISME ALGERIEN QUESTION NATIONAL ET POLITIQUE ALGERIENNE 1919-1951, TOME II SNED , ALGER, 1980, P696
- (11) هو عيسى بن علال الزيتوني ، هو أحد أعيان منطقة قصر الشلالة ، أحد شعراء الشعر الملحون كتب عدة قصائد أشهرها قصيدته التي تبدأ ب: قلبي تفكر عربان رحالة تاريخ إفريقيا الشمالي . توفي سنة 1959 م .
- (12) جريدة المساء الجزائرية 3 جوان 1992 م .
- (13) ناهد الدسوقي إبراهيم ، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث المعاصر "الحركة الوطنية ما بين الحربين 1918-1939 م" ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2001 ، ص:37.
- (14) عناد ثابت رضوان ، المرجع السابق ، ص:23.
- (15) شهادة شفوية ، الحاج أحمد صالح ، يوم 2017/04/02 18:00.
- (16) ترك مصالي وولديه علي وجنينه و زوجته أميلي بوسكان ، من مواليد 01 مارس 1901 م
- بلوران بفرنسا مناضلة يسارية ، بنيامين سطورا ، مصالي الحاج رائد الوطنية 1989 م - 1974 م ، ص:42.
- (17) يحي بوعزيز ، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948 م)
- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 م ، ص:100.